مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 9 العدد 1 / جويلية 2023
ص ص 5-14

خصائص القصة القصيرة جدا
(الكاتب السوري سعيد أحمد نموذجا)

Characteristics of the Very Short Story
(The Syrian Writer Saeed Ahmed as a Model)

مريم بغيبغ
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة (الجزائر)
meriem.beghibegh@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2023/4/30 القبول: 2023/6/20 النشر: 2023/07/31

الملخص:

يتناول هذا المقال القصة العربية القصيرة جدا، باعتبارها جنسا أدبيا جديدا، قائما بذاته، حيث يبحث في خصائصها من خلال قصص الكاتب الطبيب السوري سعيد أحمد، الذي ينشر نصوصه على جدار رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا، والتي تنشط افتراضيا وواقعيا، والبحث في أسس نجاحه في كتابتها، حيث يعتمد على الدقة والمهارة الكبيرة، لما يتطلبه هذا الجنس الأدبي الحداثي من معايير وشروط يجب توافرها فيه.

الكلمات المفتاحية جنس أدبي؛ القصة القصيرة جدا؛ أحمد سعيد.

Abstract:

The article talks about the very short arabie story as anew literary genre(based on its inception) that starded it ;where he seareches for its characteristics through the stories of the syrian writer,doctor saeed ahmed,who publishes his texts on the wall of the very short story association in syria which is active hypothetically and realistically and searching for the fondations of his success in writing itas it relies on accuracy and great skilll as this literary genre requires gardens of standards and conditions that must be met in it.

Keywords; literary genre, the very short story, Ahmed Saeed.

1.مقدّمة:

القصة القصيرة جدا فن الدهشة والتكثيف، ظهرت في الأدب العربي في ثلاثينيات القرن الماضي، حين كتب" يوسف الشاروني، ونجيب محفوظ ومحمد زفزاف، ونوئيل رسام وبثينة الناصري، وخالد حبيب الراوي، وإبراهيم أحمد، وتوفيق يوسف عواد "[1] ...وآخرون محاولات لم تبلغ درجة كبيرة من النضج الفني، ولم تحظ بالظهور الجاد والاكتمال الفني سوى في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، خاصة مع انتشار الأنترنيت مطلع الألفية الثالثة، ومازال لحد الساعة وليدا في بعض الدول العربية.

ورغم أن ظهور القصة القصيرة جدا غربي - فقد ظهرت في أمريكا اللاتينية ، ثم انتقلت إلى عالمنا العربي عن طريق الترجمة و المثاقفة – إلا أن هناك من أسسها على فرضية تراثية

سردية عربية ، حين تتبع الناقد المغربي "جميل حمداوي "[2] مسار هذا الفن في الثقافة العربية، ووصل إلى نتيجة مفادها أنه مر بخمس مراحل وهي، المرحلة التراثية ومرحلة الكتابة الواعية ومرحلة الوعي بتجنيس القصة القصيرة جدا ومرحلة التجريب والمثاقفة ومرحلة التأصيل، هذه المرحلة التي بدأ فيها الكتاب العرب في تأصيل قصصهم القصيرة جدا كتابة وبناء وقالبا ورؤية، وهنا تنتهي المراحل التي حددها الناقد المغربي جميل حمداوي ، حسب منظوره الخاص، وقد أضفت مرحلة سادسة سميتها **بمرحلة التفاعل والإبداع** تبدأ هذه المرحلة مع تطور النشر الأدبي الإلكتروني، خاصة مع مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) ، من خلال الرابطات الأدبيّة المتخصّصة في هذا الجنس الأدبي ، وبالتحديد مع رابطة القصّة القصيرة جدّا في سوريا والتي نشأت سنة 2013، وهي تؤسس لمدرسة حقيقية للقصة القصيرة جدا التي تعتمد أساسا على التكثيف الذي يجعل القصة القصيرة جدا بانية للحدث وليست ناقلة له ، وترفض التكثيف الذي يقتصر على إلحاقه بمفهوم الاقتصاد لا أكثر، قصص تعتمد على الرّموز والإيقونات وتعتبرها من أهمّ شروطها، كما تساجل من أجل جعل هذا الفنّ فنّ النخبة .

ومنه فـ"القصة القصيرة جداً" ليست فناً أو جنسا أدبيا جديدا، ولا يعود ظهورها إلى التسعينات من القرن الماضي، بل هي نصوص أدبية تتسم بالإيجاز البليغ، وتتوافر فيها البراعة القصصية ، ونجدها في الأدب الغربي لدى جمهرة من كتّاب القصة القصيرة منذ أكثر من قرن من الزمان، ولا أحد من النقاد الغربيين يربطها بالتغيرات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، التي شهدتها مجتمعاتهم، أو بالظواهر الدولية أو الكونية، بل ينظرون إليها كلون لطيف من ألوان الأدب القصصي المركز، ولم تقف عند ذلك بل ابتعدت كثيرا في تطوّرها من خلال قدرات كتابها الإبداعيّة بعدما تقبّلتها السّاحة الأكاديمية العربية، وتبنّتها الأقلام المبدعة واتّجهت نحوها الآراء النّقديّة، كما ساهمت شبكة الإنترنيت – كما قلنا سابقا - في شيوعها وترسيخها، لتكون فنّا مستقلا له ضوابطه و أركانه ولم لا مدارسه الخاصة به .

حيث يقول رئيس الرابطة الدكتور محمد ياسين صبيح في لقاء أجري معه في جريدة البعث السورية "القصة القصيرة جدا بقصرها وبطريقة صياغتها تمثل أسلوبا جديدا في الكتابة ، يختلف عن أسلوب صياغة القصة القصيرة ، فهي تحتاج إلى السرعة والتكثيف والإيحاء ، حتى تبرق بسرعة وتعطي الضوء الكامل للرؤية اللحظية التي تدل على الفكرة التي تأتي مكتملة أو متعالقة مع فكرة أخرى مضمرة بالنهاية حينما نصل إلى المفارقة ، وتكمن أهميتها بأنها تعطي القارئ جرعة من الأفكار بسرعة لحظية تدفعه في الكثير من الأحيان إلى تشغيل الذهن والتفكير، كما أنها تماهى التطور التكنولوجي السريع الذي أصبح يدفع باتجاه إنجاز الأعمال بسرعة ودقة ، وهي بقصرها تساعد على القراءة السريعة ولو أنها تحتاج في الكثير من الأحيان إلى التأمل، إلا أن ذلك لا يلغي سرعة القراءة وأخذ الفكرة ، وهي ليست بديلا لأي جنس أدبي "[3].

وهنا في هذا المقال سنحاول الاقتراب أكثر من فن القصة القصيرة جدا العربية، كما يكتبها القاص العربي اليوم ، لا كما كتبها الرواد ، من

خلال دراستنا لبعض النماذج القصصية القصيرة جدا المنشورة على جدار رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا للكاتب الطبيب سعيد أحمد ، فما هي فنيات القصة القصيرة جدا عند القاص سعيد أحمد ؟ وما الجديد الذي قدمه؟ وهل القاص سعيد أحمد لديه وعي أو دراية كافية بالقصة القصيرة جدا نظريا وتطبيقا؟ وهل استطاع أن يوصل المتلقي للمتعة والدهشة المطلوبتين عند قراءة نصوصه القصصية القصيرة جدا؟

2. القصة القصيرة جدا عند سعيد أحمد:

سعيد أحمد هو طبيب سوري يمتهن مهنة طب النساء، وقد برع في كتابة القصة القصيرة جدا، من خلال نصوصه الجادة المنشورة في رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا، يرى سعيد أحمد أن كتابة القصة القصيرة جدا" كتابة صعبة تحتاج إلى الهدوء والتفوق على الذات كالقصيدة، هي حالة من صمت ونطق في باحات ضيقة تتطلب إنتاج الجمال بلغة معقدة توضع في قالب الدهشة "[4].

تتميز نصوصه السردية القصيرة جدا بكثافتها، وتمتلئ بالإدهاش وتصيب القارئ بالإرباك، لذلك وجب عليه عند قراءتها الإمعان والتدبر في فكرتها، وفي عباراتها لأجل الوصول إلى المعنى العام، يعتمد أسلوب الكاتب على لغة قوية، لما تتيحه لنا نصوصه من استخدام الرمز والانزياح والإضمار والتدوير والمفارقة والسخرية، والجرأة في التعبير.

فما هي خصائص القصة القصيرة جدا عنده من خلال بعض قصصه المنشورة في رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا بين سنة (2016-2020) والتي نالت المراتب الأولى في مسابقاتها الدورية مثل:

- **تجارة**

يطلق رصاصته الأخيرة.
يخرجها الطّفل من رأسه مقهقها:
- أعيدها إليك بقطعة خبز...يبحث القناص في جيبه الفارغ.

- **مومياء**

انتهى موسم الحصاد.
تمددتْ في سريرها بدلال..
رقصت، تعرّت،بكت،عبثاً.. لم يحضر ظله كعادته كل يوم إلى نافذتها..
أزاحت الستائر.حدّقت إلى الغربان بقهر وهي تمزّق رأس الفزّاعة.

- **هديّة**

قدّموا لي جثّتي مبتسمين.
أخبرتُهم بأنّ العنوان خاطئ.
أتابع الاحتفال في المقبرة غاضباً..
كم مرّة يجبُ أن أخبرَ أمّي بأني كبرتُ..
ولا أحتاج إلى دمية...؟!

- **خاتم**

رحلت أصابعي إلى الجهات الأربعة، ومازلت أنتظرها.
لم يبق لي إلا واحدة أتكئ عليها...
دفنت الجميع، ولم يدفن أحد، يلفظ القلم أنفاسه، ويتمدد في راحتي...
بالخيوط أغلق الذاكرة، انتفض ثانية، وعاد إلى إصبعي.

- **المنديل الأخير**

تنقّلت بين الأحياء الغنّية والفقيرة هاتفةً(مناديل معطّرة)،حتى نفدت بضاعتها.

تلمّست جيوبها الفارغة.

عادت أدراجها، وهي تمسح الدم من خدّها الأيمن، والبصاق من خدّها الأيسر

3. خصائص القصة القصيرة جدا عند الكاتب سعيد أحمد:

1.3العنوان:

للعنوان دور كبير في القصة القصيرة جدا ، ورابطة القصة القصيرة جدا في سوريا ، تهتم كثيرا بعناوين النصوص القصصية القصيرة جدا ، وتعتبرها المفتاح الأساسي لفك شفرات النص ، لذلك نجدها تؤكد من خلال تعليقات نقادها على النصوص المنشورة على جدارها على أهمية العنوان ، وما له من وظائف عديدة تخدم النص ، وهي ترفض العناوين الكلاسيكية التي تكشف دلالة النص ، وإنما تدعو كتابها والمنتسبين إليها إلى البحث عن عناوين براقة مفارقة غير كاشفة لكنها لها علاقة غير مباشرة بالنص ، فهي تتسم باتساع الدلالة والتعالق مع النص في الوقت ذاته، لذلك هي ترى أن يكون العنوان نكرة ، ويجب أن يكون مفردا فليس مقبولا أن يكون طويلا كما في الرواية.. ولأنه لا يطرح إلا فكرة واحدة فإن من شروط العنوان أن لا يكون فاضحا للمضمون، بل مخاتلا.

العنوان في نص تجارة:

النص: تجارة

يطلق رصاصته الأخيرة.

يخرجها الطّفل من رأسه مقهقها:

- أعيدها إليك بقطعة خبز...يبحث القناص في جيبه الفارغ.

يختار الكاتب سعيد أحمد عناوين نصوصه بعناية فائقة، بحيث يتجنب العناوين الكلاسيكية التي تتناسب مع مضامينها، فعناوينه مفارقة لا علاقة لها بمضامين نصوصه، لكنها تتقاطع معها إذا تعمقنا فيها، فالتّجارة هي عملية البيع والشّراء...ولكن السؤال المطروح: ما علاقتها بالطفل والقنّاص، والرّصاص والخبز؟

وللاقتراب من الدّلالة العميقة للنّص وعلاقة العنوان به وجب علينا استعمال مشرط التأويل، فالنّص كما يفسّره "ديكرو" بمثابة إستراتيجية يخطّط لها المؤلّف بطريقة مخصوصة، وأنّ دلالته مبعثرة ضمن تمفصلات هذه الإستراتيجية، مما يجعل الوصول إليها يمرّ إجباريا عبر ممر تفكيك آليات هذه الإستراتيجيّة، ولملمة المادة الدّلالية المبثوثة داخلها.

تقدّم لنا قصّة تجارة مشهدا واقعيا وغرائبيا في الوقت ذاته، يتحدد من خلال علاقات اجتماعية "علاقة الطفل/ بالقناص، علاقة الخبز/ بالرصاص، علاقة الحياة/ بالموت.

نحسّ أنّ هناك صراعا قائما بين كلّ هذه الثّنائيات وهو صراع إيديولوجيا تحدّد القصّة ملامحه من خلال: خاصّةً "القنّاص والطفل " يحتدم بينهما الصّراع، حول الحياة فالقناص أخطأ الهدف برصاصته الأخيرة حين استقرّت في رأس الطّفل ، والطفل بفعل الغرائبيّة وبراء ته أخرجها وأراد أن يبادلها بقطعة خبز، ولا يهمّنا إن كان هذا القنّاصَ/ إرهابيا أو مسؤولا أو قائدا عسكريا أو جنديا أو محاربا /أو رئيس عصابة المتجارة بالأعضاء البشرية...بقدر ما تهمّنا الدلالة العميقة التي تحدد مدى انسجام العنوان مع النص.

" يطلق رصاصته الأخيرة " يبيّن هذا الملفوظ أنّ القنّاص مرادفا للموت فهو يطلق الرّصاص بشكل عشوائيّ، وهذا ما تدلّ عليه كلمة "أخيرة"

وهذا لا يتماشى مع المبادئ العامة التّي تستثني النساء والأطفال في الحروب مثلا...

" يخرجها الطّفل من رأسه مقهقها " يبيّن هذا الملفوظ البسيط في شكله العميق في معناه، الثّورة من أجل الخبز، والدّلالة "القهقهة" التّي صاحبته، حين أخرج الرّصاصة من رأسه، حيث خابت آمال القنّاص حين خاطبه الطّفل قائلا : . أعيدها إليك بقطعة خبز.

في هذا المقطع يذكّره بإخفاقه في إصابة الهدف، فكان له أن يحتفظ بالرّصاصة الأخيرة للعدوّ أو الخارج عن القانون... وليس للطّفل الجائع.

وفي السّياق ذاته يطالبه بقطعة خبز، وهو يوقن بقهقهته أنّ من يمنح الموت لا يمكن له أن يمنح الحياة وهذا ما تؤكدّه "القفلة المفاجئة ": "يبحث القنّاصَ في جيبه الفارغ "، يمثّل هذا الملفوظ الخلاصة الفكرية والدّلالية التّي سعى الكاتب الفذّ "أحمد سعيد "إلى تحقيقها، فالتّجارة هي تجارة "الموت" .

إن هذا العنوان الصادم الذي قادنا إلى حقائق غريبة، حين انزاح عن معناه الحقيقي، واتخذ معان أخرى، خلخلت أفق انتظار القارئ.

2.3 التكثيف : تستند القصة القصيرة جدا إلى عنصر التكثيف والتبئير وترفض التمطيط والشرح والتفسير والتفصيل وذكر الجزئيات ، فالتكثيف في القصة القصيرة جدا عمود بنائها ، فقد عدّ د. محمد مينو التكثيف "أحد العناصر التي يستند إليها هذا النوع القصصي، ويلجأ إليه ليضمن غنائية صريحة، وقصرا شديدا، فلا مجال للترادف، ولا مكان للهذر والوصف فإذا ما احتاجت القصة إلى التعبير عن تطور الحدث وتقدمه، رصدته كليمات قليلة ذات إيقاع وإيحاء، وكأن القصة تبني الحدث كلمة كلمة بناء محكما لا فضل فيه ولا زيادة، لأن انزياحها عن النظام المألوف للقصة القصيرة إلى نظام آخر يقوم على الاقتصاد في مختلف العناصر بشكل عام وعلى التكثيف بشكل خاص"[5]، ونصوص الكاتب سعيد أحمد تتميز بالتكثيف الشديد، ولكنه ذلك التكثيف الحيوي الذي ينبني على الحذف والإضمار ، وينطوي على المجازات التي تقود بالمتلقي إلى تعدد التأويلات، كما أنها نصوص موحية سريعة الصياغة تركز على اللغة وضغط الحدث لكنها لا تخرج عن دائرة الانتماء القصصي.

التكثيف في نص مومياء :

- مومياء

انتهى موسم الحصاد.

تمددتْ في سريرها بدلال.

رقصت، تعرّت، بكت، عبثاً، لم يحضر ظله كعادته كل يوم إلى نافذتها.

أزاحت الستائر.حدّقت إلى الغربان بقهر وهي تمزّق رأس الفزّاعة.

نص مومياء محمول بالمشهدية والحركية ، فالتكثيف في هذا النص ليس غاية في ذاته ، وإنما جاء ليبني الحدث ، ويحدث الإدهاش لدى المتلقي ويجعله مفتوحا على عدة تأويلات، وتجلى ذلك في روعة الاستهلال "انتهى موسم الحصاد " ، وانتهى الشيءُ :أي بلغ نهايتَهُ، والمعروف أن فترة الحصاد تبدأ مع نهايات شهر إبريل أو بدايات شهر مايو وتبدأ معها تباشير موسم حصاد محصول القمح مثلا، وقد اكتفى الكاتب بإخبارنا بانتهاء وقت الحصاد ، ولم يذكر تفاصيل البداية ، ولا ندري إن كان الكاتب يتكلم عن موسم الحصاد الذي ذكرناه سابقا أم يقصد

به حصاد آخر ، فالظاهر أن بطلة القصة التي "رقصت و بكت و تعرت " قد فعلت ذلك عبثا ، فلم يحضر ظله إلى نافذتها ، التي تقف دائما أمامها في لحظة تأمل وأسى في انتظار زائر لن يأتي ، وظلت وحيدة تعاشر الغربان ، لأنها من يأسها مزقت رأس الفزاعة ، فما حاجتها إليها ، إن كان ظله لا يأتي إليها ، فلتأكل الغربان إن أرادت من رأسها ... إنه مشهد اليأس الذي يصوره لنا الكاتب في كليمات قليلة ، حين تحنط الحياة أحلامنا وآمالنا وتجعلها مجرد مومياء.

3.3 المفارقة :

إن المفارقة في الغالب تؤدي إلى السخرية، وقد تكون السخرية نتيجة للمفارقة التي يوظفها الكاتب في النص ، والمفارقة من الأركان الأساسية للقصة القصيرة جدا ويقصد بها " لجوء القاص إلى إبراز تناقض ما (تعارض ما ، تقاطب ما) بين المنظومات الموضوعية أو البنى الفنية التي تشكل النص سعيا إلى تعميق الإحساس بالظاهرة التي يتبناها القاص "[6]، والقارئ الحاذق هو الذي يحاول تبيّن حقيقة هذه المفارقة، ومعظم النّقاد الذين كتبوا دراسات حول القصة القصيرة جدا ، أكّدوا على أنّ نجاحها متوقّف على هذه الخاصّية ، ونجاح الكاتب في إحداث المفارقة.

المفارقة ليست ظاهرة بسيطة، فطبيعتها معقدة نتيجة للتراكمات الكثيرة لمفهومها وتطور المصطلح المستمر، فالمفارقة هي مهارة لغوية بين الكاتب والمتلقي، فالكاتب يصنع مفارقة النص وإثارة المتلقي ، والمتلقي لا يهتم بالمعنى الظاهري للنص ويعارضه ليصل إلى المعنى الذي يريده،" فالمفارقة تشمل على دال واحد ومدلولين اثنين: الأول حرفي ظاهر وجلي ، والثاني متعلق بالمغزى موحى به، خفي، ونستطيع القول هنا : إن المفارقة تشبه الاستعارة في هذه البنية ذات الدلالة الثنائية غير أن المفارقة تشمل أيضا على علامة توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول،وهي هنا تختلف عن الاستعارة وهذه السمة هي من صميم بنية المفارقة ، فالمفارقة تفرض على المخاطب تفسيرها السليم ، إنها بتبليغ رسالة"[7]، ومنه فالمفارقة قد تشبه الاستعارة إلا أنها تختلف عنها في كون الأولى تقوم على الغموض.

المفارقة في نص:

- هديّة

قدّموا لي جثّتي مبتسمين.

أخبرتُهم بأنّ العنوان خاطئ.

أتابع الاحتفال في المقبرة غاضباً.

كم مرّة يجبُ أن أخبرَ أمّي بأني كبرتُ.

ولا أحتاج إلى دمية؟!

في هذا النص القصصي القصير جدا يظهر لنا تمكن القاص سعيد أحمد، فهو يمتلك أسلوبا متميزا، حيث يتقن استعمال خاصيتي الحذف والإضمار، وهو بذلك يدفع المتلقّي إلى تشغيل مخيّلته وعقله، وليس أي متلقيا وإنما ذلك الذي يمتلك ثقافة عالية وذكاء حاذق، فالنص يرتكز على تقاطب يظهر في علاقة البطل بالحياة /الموت.

هذا التقاطب المركزي تتفرع منه عدة تقاطبات منها: الحقيقة /الخيال، الواقع / الافتراض أو التجريد، المقبرة /البيت أو الوطن، الإنسان /الدمية ...

إن تيمة النص في الظاهر هي الموت فبعض الملفوظات تدل عليه (جثة ، مقبرة)، لكن

الباطن يخبرنا بموت يشبه الحياة (هدية ،احتفال، دمية).

إذن هي لعبة الحياة والموت ، فكأنه يريد أن يخبرنا أن الحياة لا تكتمل إلا بالموت ، فمادام الإنسان حيا فتجربته ناقصة لا تكتمل إلا في المقبرة ، ويرمز للنقص بالدمية فالدمية ناقصة مادامت لا تتحرك ولا تتكلم ، وهنا يسخر القاص من حياة تختبئ خلف أجساد كالدمى لا تستطيع أن تفعل ما تريد أو أن تتكلم بما تشاء .

إن القاص يرى أن القبر الحقيقي هو الجسد (الذي يشبه الدمية)، والموت الحقيقي هو عدم الكلام ، فعندما تكمم الأفواه، تنتحر الأماني والأحلام وتقبر في الأجساد، والحياة تكمن في انعتاقها منها ، والمعنى أن الإنسان في هذه الحياة قد يموت ألف مرة ويقبر ألف مرة ، وبطل القصة يترجى أمه أن لا تلده حتى لا يصير دمية ، فهو لا يريد إلا أن يتحرر من جسده ويتابع الاحتفال .

4.3 الفانتاستيك:

يعد الفانتاستيك من مميزات القصة القصيرة جدا الناجحة، وقد يكون من أهم شروطها الخارجية، إذ تنبني القصة القصيرة جدا على الغرائبي والعجائبي، وهذا ما يثير في نفسية القارئ الاندهاش والإعجاب.

والفانتاستيك أحد المصطلحات النقدية المستحدثة على الساحة الأدبية، فهو تقنية سردية تقوم على تجاوز الواقع إلى اللاواقع والمنطق إلى اللامنطق، إذ يقوم بتفكيك مكونات الواقع ويعيد تشكيل أبعادها وإنتاجها وفق رؤية مغايرة وتحويلها إلى عالم افتراضي.

وقد عرفه تودوروف في كتابه (مدخل إلى الأدب ألعجائبي) بأنه "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثا فوق الطبيعي حسب الظاهر"[8].

ونحن نطالع قصص الدكتور سعيد أحمد، نجد فيها العجيب والغريب، كما يتداخل فيها الواقع والخيال وقد يتنافران، قصص تحكى بطريقة غير مألوفة، تعتمد على السحر والخيال والأشياء الخارقة، يتحدث فيها الحيوان والنبات والجماد ، وتبتسم فيها الجثث، إنها قصص غريبة، أحداثها وهمية ، تختفي فيها المسافات والأمكنة والأزمنة وتتسامر فيها شخصيات ميتة، لكنها - حتما- قصصا تحكي عن عالم بشري منحط أخلاقيا ، عالم يأكل فيه القوي الضعيف.

الفانتاستيك في نص :

خاتم

رحلت أصابعي إلى الجهات الأربع، ومازلت أنتظرها.

لم يبق لي إلا واحدة أتكئ عليها...

دفنت الجميع، ولم يدفن أحد، يلفظ القلم أنفاسه، ويتمدد في راحتي...

بالخيوط أغلق الذاكرة، انتفض ثانية، وعاد إلى إصبعي.

اعتمد الكاتب في هذا النص على لغة قوية موحية، تتجاوز المستوى المباشر وحتى المجازي إلى مستوى فانتازي، يفوق فيه التخيل قوانين العالم الطبيعي، فلا يمكن للأصابع أن ترحل (رحلت أصابعي إلى الجهات الأربع) من تلقاء نفسها، كما أن شخصيات القصة وهمية تتمثل في الخاتم والأصابع والقلم ، ولا تظهر الشخصية الحقيقية إلا حين يتمدد القلم في راحته .

إن هذا النص الذي بين أيدينا يغرق في حالة من الشعرية الواضحة والرمزية الفضفاضة،

فالخاتم الذي هو عنوان النص والذي هو عبارة عن حلقة دائرية الشكل مصنوع من أي معدن ، لا يكشف عن معني النص ،لكنه ينسجم مع المقطع الاستهلالي للنص ، فالخاتم يرتبط ارتباطا وثيقا بالأصابع . فهل يدل على رفيقة العمر؟ وهل الأصابع التي رحلت إلى كل الاتجاهات السماوية (الشمال ، الشرق ، الجنوب ، الغرب) رحلت للبحث عنها ؟ هل رحلت قسرا أم رغبة؟

في النص غموض تشويقي ، يحتاج إلى الكثير من التدبر لاقتناص معانيه ، رغم أنه أدرك البيئة الزمنية من خلال قوله (رحلت ، الجهات الأربع) ، إلا أن الحدث الذي نقل إلينا عن طريق السرد بضمير المتكلم وأساليب الكتابة الذاتية، قد أربك المتلقي ، فقد يخطئ في التفريق بين كاتب النص والصوت الذي يختبئ خلفه ، وأصوات الشخصيات الوهمية الأخرى .

إن النص الذي بين أيدينا قد تجاوز ما هو طبيعي، وجعلنا نواجه حدثا غير طبيعي، حين رحلت الأصابع رغبة أو قسرا، ولم يبق إلا أصبع واحد يتعلق به قلم البطل ، في مشهد فانتازي يتمدد في راحته ، بعدما دفن شخصيات عديدة من خلال ممارسة فعل الكتابة عنهم، يتذمر لأنه لم يجد من يقوم بدفنه بالحديث عنه في كتاباتهم...إلا أنه ينتفض مرة أخرى في إشارة من الكاتب بالأمل في غد أفضل .

5.3 التناص وتشغيل المعارف السابقة :

التناص مفهوم تبلور مع الناقدة البلغارية التي تحمل الجنسية الفرنسية "جوليا كريستيفا -وإن كان النقاد العرب القدامى قد عالجوا هذا المفهوم تحت السرقات الأبية -وهي أول من وضعت هذا المصطلح عام 1966م، إذ تعتبر أن التناص الأدبي " خطاب يخترق وجه العلم والإيديولوجيا والسياسة، ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها، ومن حيث هو خطاب متعدد يقوم النص باستحضار كتابة ذلك البلور الذي هو محمل الدلالية المأخوذة من نقطة معينة من لا تناهيها "[9].

إن التناص عنصر أصيل من عناصر القص ، وبالقصة القصيرة جدا تحديدا ، فهو ضرورة فنية تحتاج إلى موهبة حقيقية وقدرة كبيرة لكاتب القصة القصيرة جدا ، فهو استثمار حقيقي لمرجعيات (دينية ، تراثية ، أدبية ، تاريخية ، سياسية ..إلخ) يبني عليها عالمه القصصي القصير جدا، حين يستحضر البنية الشكلية لنص غائب ويمنحه دلالية جديدة ، أو يستحضر دلالة النص الغائب ليستلهم منه بنية شكلية جديدة.

- التناص في نص:

المنديل الأخير

تنقّلت بين الأحياء الغنّية والفقيرة هاتفةً (مناديل معطّرة)، حتى نفدت بضاعتها.

تلمّست جيوبها الفارغة.

عادت أدراجها، وهي تمسح الدم من خدّها الأيمن، والبصاق من خدّها الأيسر.

في هذا النص روابط وجدانية مع قصة عالمية، استدعاها الكاتب سعيد أحمد من مخزونه الفكري الذي يرتبط بالأصل الأول من خلال التداعي ، حيث يتعمد الكاتب أن ينبه المتلقي لاستدعاء النص الأصلي وهو حكاية "بائعة الكبريت" قصة قصيرة من تأليف الشاعر والأديب الدنمركي هانز كريستيان أندرسن، وقد

أحالنا الكاتب إلى هذه الحكاية العالمية - التي يعرفها الصغار والكبار، لأنها قدمت على شكل رسوم متحركة – دون أن يستخدم النص الحرفي والنقل الطباعي لأجزاء القصة .

القصة العالمية تحكي عن بائعة الكبريت ، وقصة سعيد أحمد تحكي عن بائعة المناديل المعطرة ، بائعة الكبريت طفلة صغيرة لطيمة مسكينة عارية الرأس، بينما كانت تسير في الشارع فقدت حذاءها القديم الذي ورثته عن والدتها ، وأكملت سيرها حافية القدمين، كانت هذه الفتاة الصغيرة تجوب الشوارع، وتسير فيها وتهتف :أعواد الكبريت، في قصة سعيد أحمد لا ندري من تكون الشخصية هل هي طفلة صغيرة فقدت أبويها في الحرب الأخيرة على سوريا ، أم هي امرأة لاجئة تتنقّل بين الأحياء الغنّية والفقيرة هاتفةً : مناديل معطّرة، لكن كليهما يقابلان بالخذلان، فبائعة الكبريت لم يحزن عليها أحد ، ويشتري منها، وهي وسط الثلوج حافية القدمين تحس بالبرد، وتشعر بالجوع ، وبائعة المناديل تلمّست جيوبها وكانت فارغة ، رغم أن بضاعتها كلها نفدت؟.

النهاية قاسية لكليهما بائعة الكبريت تلفظ أنفاسها في انتظار أمل ينتشلها من البرد والصقيع ، وبائعة المناديل تعود فارغة الجيوب وهي تمسح الدم من خدّها الأيمن، والبصاق من خدّها الأيسر.

في هذا النص اعتمد الكاتب على " ثقافة المتلقي وسعة معرفته ، وقدرته على الترجيح على أن هناك مؤشرات تجعل التناص يكشف عن نفسه ويوجه القارئ للإمساك به ومنها "التلاعب بأصوات الكلمة ، والتصريح بالمعارضة ، واستعمال لغة وسط معين ، والإحالة على جنس خطابي برمته "[10].

4. خاتمة:

إن القصة القصيرة جدا عند القاص سعيد أحمد محمولة بالمستنسخات التناصية والنصوص الغائبة والإحالات المعرفية الدالة على الذاكرة المنسية ، ومختلف الترسبات ، والمعرفة الخلفية ، وقد تجاوزت مرحلة العفوية والتلقائية، ونحن نطالع قصصه نحسّ أنّ لدى صاحبها وعيا بقضيّة التّجنيس، ووعيه بقضايا الرّاهن والاستفادة من التّجريب والمثاقفة والفانتاستيك والشّاعريّة والتّناص وغيرها، للتّعبير عن مواضيع متعدّدة بتكثيف عال غير مخل بمعنى النص، واقتصاد دلالي مبدع، فتعدّدت عناوين قصصه بتعدّد كلّ ذلك فعانقت عناوينه الواقع والخيال مثل :" حقيقة، شرنقة، غسق، لقاء، إيحاء، مسار، أمل، عائد، خصام، محاكمة، فسيفساء، بوصلة، غربة، لص، تأبّط شرّا، تهور، قرابين، شرعيّة، سيرك، طروادة، والعديد العديد من القصص فالكاتب غزير الإنتاج"[11]، تتميّز نصوصه بقوّة الثيمة فلا يمكن لمتذوّق هذا الفنّ أن يمرّ على نصوصه مرور الكرام، دون أن يقف موقف المتأمّل فيها، وأنا أدعو المتلقي الذي يمتلك ثقافة عالية وذكاء حاذقا لاستخدام العمليات الذهنية المعرفية لقراءة قصص الدكتور سعيد أحمد والوصول إلى أبعادها الدلالية .

5. الهوامش :

1- إبراهيم سبتي : محنة القصة القصيرة جدا " مجلة الحوار المتمدن " بغداد عدد 1562، ماي 2006م.

2- جميل حمداوي : دراسات في القصة القصيرة جدا ، دار نشر المعرفة ط1، 2014م ، ص7-8.

3- محمد ياسين صبيح : جريدة البعث السورية ،عدد 25 أبريل 2022م.

4- أنظر تعليق للكاتب في رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا.-https://:ar ar.facebook.com

5- مينو محمد محي الدين : فن القصة القصيرة ، مقاربات أولى ، مسار للطباعة والنشر ، دبي ، ط3، م2012، ص 39.

6- يوسف حطيني : دراسات في القصة القصيرة جدا ، مطابع الرباط ، ط1، 2014م.

7- سيزا قاسم : المفارقة في القصص العربي المعاصر ، مجلة فصول ، عدد 2، ص140.

8- تزفيتان تودوروف : مدخل إلى الأدب العجائبي ، ترجمة : الصديق بوعلام ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994، ص30.

9- جوليا كريستيفا : علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، منشورات توبقال المحمدية ، المغرب 1991، ص13-14.

10- محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي ن الدار البيضاء ، ط3، 1992، ص131.

11- أنظر نصوص الكاتب سعيد أحمد المنشورة على جدار رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا. https://:ar-ar.facebook.com

6. قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1- جوليا كريستيفا : علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، منشورات توبقال المحمدية ، المغرب 1991.

2- محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي ن الدار البيضاء ، ط3، 1992.

3- تزفيتان تودوروف : مدخل إلى الأدب العجائبي ، ترجمة : الصديق بوعلام ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994.

4- مينو محمد محي الدين : فن القصة القصيرة ، مقاربات أولى ، مسار للطباعة والنشر ، دبي ، ط3، 2012م.

5- يوسف حطيني : دراسات في القصة القصيرة جدا ، مطابع الرباط ، ط1، 2014م.

6- جميل حمداوي : دراسات في القصة القصيرة جدا ، دار نشر المعرفة ط1، 2014م

المجلات والجرائد:

1- إبراهيم سبتي : محنة القصة القصيرة جدا " مجلة الحوار المتمدن " بغداد عدد 1562، ماي 2006م.

2- محمد ياسين صبيح : جريدة البعث السورية ،عدد 25 أبريل 2022م.

موقع الأنترنت: رابطة القصة القصيرة جدا في سوريا. https://:ar-ar.facebook.com.